العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية لدى طلاب المدارس الثانوية

إعداد

نواف خلف الخرينج

مقدمة

يعتبر تدعيم مفهوم العمل التطوعي كسلوك إنساني حميد لدى الأبناء من خلال الأسرة أو المدرسة أو دور العبادة والأندية الرياضية أو المؤسسات المجتمعية بشكل عام من مسؤليات تربية النشء في أي وطن، ومن ثم زرع هذه القيم والسلوكيات التي تستند إلى مبدأ القدوة الحسنة فتحفيز الأبناء للانخراط في الأعمال التطوعية والأنشطة الاجتماعية داخل الأسرة أو المدرسة أو الحي يعمل على نشر روح التسامح والمبادرة في خدمة المجتمع.

لا يعتبر الإسلام مجرد دين يحدد ويصف العلاقة بين الإنسان وخالقه وإنما الإسلام دين يتناول كل علاقات الفرد سواء مع ربه أو مع غيره من أهل الدين وأيضاً غيره من بني البشر بغض النظر عن الدين، ومن ضمن ذلك أنه يعمل على توثيق علاقه المسلم مع أخيه المسلم ويسعى لتحقيق التضامن والتعاون من منظور إجتماعي حضاري وقد قال تعالى "" وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (سورة المائدة، الآية ٢) وتشرح تلك الآية كيف أن الله سبحانه وتعالى يقر على الإنسان بضرورة الاجتماع البشري والذي يتجسد في أعلى صوره في التعاون بين المؤمنين والذي يأتي في أجل صوره في التطوع – أي مساعدة الأخرين دون مقابل– فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في معزل عن الآخرين كما أن هذا التعاون له جزاء من الله في الدنيا والآخرة. (الغامدي، ٢٠٠٩: ٢) وكذلك فقد تناولت سورة البقرة ذلك في قول الله تعالى "وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ" (سورة البقرة، ١٥٨)

وإن كان التعاون قيمة إسلامية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها، فإن التطوع يمثل درجة كتقدمة في سلم الأولويات لتلك القيمة، إلا أن العمل التطوعي أصبح في الوقت المعاصر عمل مؤسسي يحتاج مجموعة من المهارات يجب أن يتحلى بها المتطوع وأن يطور نفسه فيها أهمها فكرة الإيثار وحب مساعدة الآخرين والاستعداد للعطاء دون مقابل،

كما تحتاج المؤسسات التطوعية وكذلك التربوية إلى ترسيخ ثقافة العمل التطوعي، والقيام بدور كبير في إعداد القيادات الشبابية الناشئة التي تكون بمثابة جيل المستقبل ويتم تسليحها بالمعارف والقدرات التي تجعلها قادرة على التعامل مع المتغيرات، وتفعيل التربية الإسلامية لتدعيم ثقافة العمل التطوعي على اعتيبار أن التطوع من أهم الأدوات والقنوات التي يحرص عليها الدين الإسلامي ويؤسس لها.

وفي هذا البحث يتناول الباحث أهم أثار العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية على طلاب المدارس الثانوية.

المشكلة البحثية

تنطلق مشكلة الدراسة من أنه على الرغم من الأهمية الكبيرة للعمل التطوعي، ووجد أصول قوية في الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى دورة البالغ الأثر في الدول المتقدمة في سد الفجوة بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص إلا أن أثر برامج التربية في الدول العربية على العمل التطوعي ضعيفة جداً مقارنته بجذوره الإسلامية بالإضافة إلى أنه مطلب ملح في تلك المجتمعات.

ومن هنا يتلخص هذا البحث في التساؤل التالي:

كيف يتم تأهيل طلاب المدارس الثانوية للإنخراط في العمل التطوعي من خلال التربية الإسلامية ؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من طبيعة الواقع المعاصر للدولة الحديثة الذي تشكل فيه منظمات المجتمع المدني دور رئيس يكاد يزاحم العمل الحكومي والقطاع الخاص وذلك في التنمنية المجتمعية بأشكالها المختلفة، وبالتالي فدور التربية في ترسيخ تلك الثقافة بالغ الأهمية خصوصاً وأن هناك أصل كبير للعمل التطوعي في الثقافة الإسلامية.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى التالي:

- التعرف على العمل التطوعي وأثرة في تنمية المجتمعات.
- ترسيخ ثقافة التطوع لدى الشباب مما يساهم في انخراطهم في العمل العام بشكل عام.
- تحديد أهم الخبرات والمهارات المطلوبة للشباب في مجال العمل التطوعي.

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي حيث يساعد في الحصول على حقائق دقيقة عن الظروف القائمة واستنباط علاقات هامة بين الظواهر الجارية حيث يعتبر المنهج الوصفي التحليلي طريقة مثلى لدراسة املواقف الاجتماعية ومظاهر السلوك الإنساني.

المطلب الأول : تعريف العمل التطوعي وأهميته .

أولاً: من حيث اللغة:

العمل في اللغة هو الفعل بقصد (المنجد في اللغة، ١٩٧٥: ٥٣١)، والعمل يقصد به المهنة والجمع أعمال، أما العامل فهو الذي يتولى أمور الرجل في ماله وملكه وعمله، وقدجاء في القرآن الكريم قول الله تعالى في آية الصدقات " والعاملين عليها " وهم السعاه الذين يأخذون الصدقات من أربابها.(ابن منظور، ١٤١٦، ج٩: ٤٠٠)

أما التطوع فهو من الطوع وهو نقيض الكره، ويقال جاء فلان طائعاً أي غير مكره ، أما تطوع فهو ما تبرع به الشخص من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه (ابن منظور، ١٤١٦، ج٨: ٢٢١)، وتطوع بالشيء أي تبرع به والمتطوع المتنفل الذي يأتي الأعمال الصالحة زيادة على الفرائض والواجبات (المنجد، ١٩٧٥: ٤٧٥)

ويرى الباحث أن العمل التطوعي طبقاً للغة يعبر عن العمل الذي يقوم به الفرد طواعية من تلقاء نفسه دون أن يطلب لأداءه مقابل مادي أو معنوي.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

تتعدد التعريفات الاصطلاحية للعمل الخيري وتختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها الباحث ويمكن تناول أهم اتجاهات التعريف فيما يلي:

الإتجاه الأول يتناول العمل التطوعي من منظور الدين وهو في الدين الإسلامي الحنيف يعبر عن العمل الزائد عن الواجبات والفروض المطلوبة، فمثلاً شرع الله تبارك وتعالى الزكاة فهي من الفروض الأساسية في الإسلام بينما جاءت الصدقات كزيادة على ذلك وبالتالي تعتبر تطوع.

وهناك من يقصر مفهوم العمل التطوعي في الدين الإسلامي على المعنى الشرعي الذي يفهم من " النوافل والسنن"، وهو ما تفسره الآية الكريمة: " فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"(البقرة:١٨٤)، إلا أن التطوع في الإسلام يمثل مجالاً أوسع من ذلك حيث تقع في دائرته أعمال البر المطلقة وهو ما شرحته الآية الكريمة " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب" (البقرة، ١٧٧).

الاتجاه الثاني يتناول العمل التطوعي من منظور اجتماعي حيث يربط مفهوم العمل التطوعي بالسلوك الإنساني والحاجات الإنسانية فالإنسان بطبيعته اجتماعي يحاول الاتصال بالأخرين والتكيف مع البيئة المحيطة وفي حال وجود أوجه نقص في تلك الحاجات يسعى الإنسان لتعويضه .(الرباح، ٢٠٠٦، ص ٩٧)

ويمكن القول أن العمل الخيري أو التطوعي يتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الموجودة في المجتمع، ويعتبر أحد أشكال التكافل الاجتماعي، فيساعد الغني الفقير وتساعد المجموعة الفرد، ودفع الأضرار عنه.

ويرى الباحث أن التطوع كما يراه بعض الباحثين عمل اختياري نابع من إرادة الشخص نفسه وإدراكه لدوره في المجتمع وكذلك كونه يتضمن نوع من الإيثار إذ أن المتطوع لا يتوقع عائد مادي لتطوعه وحتى وإن وجد فهو مقابل رمزي لا يوازي ما يقدمه من أعمال .ولأن العمل التطوعي يعبر عن إرادة الأفراد الذاتية كما ذكرنا سابقا، فإنه يعتبر عنصرا مهما في إنجاح عملية التنمية الاجتماعية التي تحقق زيادة في الموارد وحل المشاكل وتحسين نوعية الحياة للجميع، لذا كان نمو العمل التطوعي وازدهاره في مجتمع ما دليلا على استطاعة ذلك المجتمع بناء طاقة ذاتية قادرة على النهوض والتقدم.

ثالثاً: أهمية العمل التطوعي.

تنبع أهمية العمل التطوعي في اي مجتمع من المجتمعات باعتباره أحد العوامل المهمة التي تساعد في بناء المجتمعات وتحافظ على تماسكها.

فالعمل التطوعي من خلاله يكون هناك فرصة للأفراد للقيام بأعمال الخير من خلال تقديم المساعدة لمن يحتاجها منهم، وتعزيز انتمائهم ومشاركتهم قي مجتمعهم، والمساهمة طوعا بتنمية هذه المجتمعات وتطويرها، إضافة إلى تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية، وإتاحة الفرص لهم للتعبير عن آرائهم حول القضايا العامة، و المشاركة قي اتخاذ القرار، ويمكن تناول أهمية العمل التطوعي في النقاط التالي: (مظاهري، ١٤٢٧، ص ١٩٨)

- يزيد الاحساس بالمسئولية
- اثبات الذات:
- مساعدة الدول في تقديم الخدمات:
- اشباع حاجات الفرد الاجتماعية:
- علاج نفسي وقضاء وقت الفراغ
- له أهمية تربوية

- آلية للتكييف الاجتماعي
- تحسين مهارات الفرد:

المطلب الثاني: مجالات العمل التطوعي

بعد أن قام الباحث بمسح لكثير من الدراسات السابقة الخاصة بالعمل التطوعي وجد أن هناك تعدد في أشكال وأنواع العمل التطوعي بحسب المجتمع وتعليمه ووعيه ومدى المشكلات والحاجات التي تفرض عليه، فهناك العمل التطوعي الفردي والجماعي والمؤسسي وهناك عمل تطوعي إرادي يهب الفرد لعمله نتيجة حادث طارئ، وهناك عمل تطوعي مقصود ومعد له لنجدة مجموعة من المحتاجين أو طبقة معينة أما من حيث مجالات العمل الخيري فهي تتعدد وتتنوع ويمككن تناول أهم تلك المجالات فيا يلي:

أولاً: المجال الاقتصادي

ينطلق العمل التطوعي في المجال الاقتصادي من خلال الوظيفة الاقتصادية للتطوع حيث أن هناك ثلاثة أشكال من الوظيفة الاقتصادية للعمل التطوعي ، الأول يتعلق بالدعم الذي تؤديه مؤسسات تطوعية من قبيل النقابات العمالية والمهنية للنظام الاقتصادي، والشكل الثاني يتعلق بالقيمة الاقتصادية للتطوع من ناحية ما يحقق من إسهامات في حل المشكلات الاقتصادية، أما الشكل الثالث فيتعلق بدور الجمعيات منظمات المجتمع المدني باعتبارها مؤسسات تطوعية في تحقيق فوائد لأعضائها والعاملين فيها، فالتأثير الأساسي للقطاع التطوعي يتعلق بدعم النظام الاقتصادي في المجتمع الصناعي خاصة، فتعمل المؤسسات التطوعية المتنوعة على توفير أنواع مختلفة من الصلات الاجتماعية والثقافية والفنية بين العمال في المهن المختلفة، أما عن القيمة الاقتصادية للتطوع فقد بدأ خلال التسعينات استعمال مصطلح الاقتصاد الاجتماعي كمرادف للقطاع التطوعي كي يصف الأدوار الجديدة والهامة الموزعة على المنظمات غير التابعة للدولة، أي المنظمات الخيرية العاملة للفائدة العامة، وفي هذا الإطار تندرج نظرية

السلم الامتدادي التي صاغها "سيدني ويب " وتقوم على أن الهيئات الحكومية تعمل على تنفيذ الخدمات التي تضمن تحقيق المستوى الأدنى لمعيشة المواطنين وتكمل المنظمات التطوعية هذه الخدمات، وكذا نظرية الأعمدة المتوازية التي صاغها " بنيامين جراي" وتقوم على أن تعمل الأجهزة الحكومية والجمعيات معا لتنفيذ الخدمات في كافة الميادين . (عمار، ٢٠١٠، ص٨٢)

ويتضمن المجال الاقتصادي للعمل التطوعي الكثير من الموضوعات من ضمنها ما يتعلق بالبيئة كمكافحة التلوث والمحافظة على الثروات الطبيعية وحماية الحيوانات من الانقراض ومواجهة الكوارث الطبيعية ومساعدة المنكوبين وتشمل أهم وسائل ذلك حملات الارشاد البيئي، وندوات الحفاظ على المياه والعنياية بالغابات والشواطيء ومكافحة التصحر والمحميات الطبيعية. (الراشدية، ٢٠١٦، ص٢٧)

وفي مجال التنمية الاقتصادية فان برامج الكثير من المنظمات والجمعيات تهدف إلى رفع دخول المشاركين، وحلق فرص عمالة لتحقيق الاعتماد على الذات وتتمثل هذه الأهداف في برامج تعليم المهارات والحرف اليدوية وتطوير الجمعيات التعاونية، العمل في الإرشاد الزراعي وبرامج تنمية المهن الخاصة بتطوير الغابات، وتربية الحيوان، والبساتين واستخدام الموارد المحلية في الصناعات الصغيرة المدرة للدخل، (صالح، ٢٠٠٦، ص ٢٣-٢٤)

ثانياً: المحال الاجتماعي

يمثل العمل التطوعي عملية اجتماعية تعبر عن علاقة مساندة ودعم من طرف شخص أو فئة اجتماعية لصالح شخص أو فئة اجتماعية أخرى، فهو فرع من التعاطف والمساندة مع الآخرين وتقديم المساعدة المعنوية أو المادية أو كليهما طواعية دون إلزام ، حيث يقوم الأفراد بالعمل على إشباع حاجات الضعفاء والمحتاجين منهم أداء للواجب (عمار، ٢٠١٠، ص ٧٨)

وهي الاشتراك الطوعي واندماج الفرد في جماعة اجتماعية للقيام بأعمال ونشاطات، وذلك بهدف تحقيق أهداف الجماعة وتحمل المسؤولية الاجتماعية ،ومثال ذلك المشاركة في الجمعيات، ويدعو الإسلام إلى المشاركة بمعناها الاجتماعي الواسع والعميق، وهذا ما يجعل الفرد يلعب دورا أساسيا في حياة مجتمعه، من خلال جهود تطوعية إرادية تقوم على أسا س الرغبة والاستعداد الذاتي للمساهمة في عمل يعود على المجتمع بالنفع العام، سواء كان إسهاما بالرأي والخبرة أو المال أو العمل اليدوي أو غيرها ، ويمثل ذلك الاستثمار الأمثل لطاقة الإنسان، وفي المجال الاجتماعي فإن العمل التطوعي يعتبر ظاهرة صحية لأي مجتمع حيث يمثل عملية إلتئام طبيعي لما ينشأ من ثغرات داخل نسيج المجتمع فمن خلاله يتم تحقيق الترابط والتماسك بين أفراد المجتمع، ولقد وصف النبي محمد – ص – في الحديث الصحيح فالمجتمع المسلم مجتمع متماسك كالجسد الواحد، وكذلك القرآن الكريم وصفه بالبنيان المرصوص، ومن هنا نجد الأاهمية الخاصة التي أفرد لها الإسلام مساحة كبيرة وهي الاهتمام بالفقراء والمساكين وذوي الحاجة، ويمكن توضيح ذلك من خلال استقراء مصارف الزكاة التي تعتبر فريضة من الفرائض الخمس للإسلام. (زينو، ٢٠٠٧، ص ٦٧)

ويتضمن المجال الاجتماعي مجموعة كبيرة من الأنشطة في العمل التطوعي يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر رعاية الطفولة والاهتمام بالأفراد الأقل حظاً كالأيتام والمعاقين والمسنين ورعاية المرأة وإعادة تأهيل مدمني المخدرات والمسجونين ومكافحة التدخين والاطفال الجانحين والمشردين والمرضى ..الخ. (الراشدية، ٢٠١٦، ص٢٧)

وفى مجال التنمية الاجتماعية تعمل المنظمات التطوعية على برامج تطوير القطاعات المميزة ويشمل ذلك برنامج تطوير قطاعات النساء والأطفال والمعوقين وتهدف برامج تطوير المجتمعات إلى زيادة قدرة الأفراد وتشمل هذه البرامج التدريب أثناء الخدمة

لرفع الكفاءة المهنية ، البرامج الخاصة بتنمية المهارات في مجالات التغذية ، البناء ، الخياطة إلى جانب برامج محو الأمية ومحو الأمية الوظيفي ثم تدريب المدربين.

(صالح، ٢٠٠٦، ص٢٣)

ثالثاً: المجال الصحي

تقدم المنظمات التطوعية تقدم الكثير من الخدمات في مجال الصحة وهي من المجالات التي تحتاج دعم كبير للمؤسسات الحكومية ، حيث أنها تستطيع أن تقدم برامج في بناء المستشفيات المستوصفات الصحية والعيادات المتنقلة، وكذلك المساهمة في العلاج لغير القادرين في الصحة الأولية، والتغذية ، ومكافحة الاسهالات عند الأطفال والأمراض المعدية، صحة الأمومة والطفولة، تحديد النسل (تنظيم الأسرة) إلى جانب برامج صحة البيئة، وتقديم الدعم المادي والمعنوي والنصح والإرشاد (نشر الوعي) وفى مجال الإغاثة فان البرامج تتمركز في برامج الإنقاذ الصحية وبرامج توزيع الغذاء وتوزيع الكساء والمأوى والإغاثة الصحية في الحروب والكوارث. (صالح، ٢٠٠٦، ص ٢٣-٢٤)

ويتضمن المجال الصحي للعمل التطوعي توفير الرعاية الصحية لغير القادرين ومساعدة أصحاب الأمراض المستعصية والامراض التي لا يرجى شفائها مرضى السرطان يتم من خلاله تأمين الرعاية الصحية الأولية لهؤلاء المحتاجين، فيتطوع الأطباء والممرضين والمسعفين للتخفيف من آلام هؤلاء المرضى، ويتضمن كذلك برامج الرعاية الصحية خدمة المرضى والترفيه عنهم وتقديم الإرشاد النفسي والصحي والتمرين المنزلي وتقديم العون لذوي الاحتياجات الخاصة. (الراشدية، ٢٠١٦، ٢٧)

رابعاً: المجال الديني

يعتبر التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي عبارة عن واجب شرعي يتعلق بمشاركة فئات اجتماعية أقل حظا في حياتهم وهو يأخذ حكم فروض الكفاية وهذا ما يجعل أفراد المجتمع متفاعلين في كل أو بعض شؤونهم، ذلك أن الإنسان مهما استقل عن

غيره ، سيأتي اليوم الذي يحتاج فيه الآخرين، فأولى به أن يسهم في نفعهم من خلال العطاء والتطوع، ويعبر التكافل عن عملية اجتماعية تجسد علاقة التساند والتآزر والتكاتف والمساعدة لمصلحة طرفي العلاقة ،وله وجهان ضار و نافع، ولهذا نهى الله عن الأول وأمر بالثاني ، فقال تعالى:"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" (المائدة،٢) فالتعاون على الخير هو أن يندمج الأفراد والجماعات في أنشطة مشتركة لكي يساعدوا بعضهم في تلبية حاجاتهم المختلفة بطريقة مشروعة، ولذلك جعل الله هذا النوع من التكافل أهم من الشعائر التعبدية حيث قال تعالى: " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب" (البقرة ،١١٧)

ويشمل العمل التطوعي الديني على العديد من المجالات منها إمامة المصلين والآذان والقيام بخدمة المساجد وتعليم القرآن الكريم والعلوم والصدقة والانفاق والإصلاح بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعانة ذي الحاجة وإغاثة الملهوف. (الغامدي، ٢٠٠٩، ص٢٣)

وقد يأخذ المجال الديني شكل مؤسسي تجسيداً لفريضة الزكاة حيث يتم جمع أموال الزكاة من خلال جمعيات معينة وصرفها في مصارفها الشرعية المعروفة " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة، ٦٠)

المطلب الثالث: المرحلة الثانوية

أولاً: المفهوم

تعرف منظمة اليونسكو المرحلة الثانوية بأنها المرحلة الوسطى من سلم التعليم يسبقه التعليم المتوسط ويعلوه التعليم الجامعي ويشغل فترة وجيزة تمتد من سن ١٢: ١٨ من عمر الطالب. (الحارثي، ١٤٣٦هـ: ص ١٣)

كما تعرف بأنها المرحلة التي تشغل قمة التعليم العام وياتحق بها الطلبة الذين أتموا الدراسة المتوسطة بنجاح، وتمتد الدراسة بها على مدى ثلاث سنوات ويدرس الطلاب بهذه المرحلة مواجاً أكثر تخصصاً تتيح لهم قدراً أوفى من التيقيف العام وتؤهلهم للإلتحاق بالجامعة، وتشمل المرحلة الثانوية في غالبة الدول العربية الثانوية العامة وثانوية المعاهد العلمية ومعاهد إعداد المعلمين والمعلمات والمعاهد المهنية بأنواعها المختلفة(من زراعية وصناعية وتجارية) والمعاهد الفنية والرياضية وهذه المرحلة تشارك غيرها من المراحل في تحقيق الأهداف العامة للتربية والتعليم. (الحارثي، ١٤٣٦هـ: ص ١٤)

ثانياً خصائص المرحلة الثانوية:

تتمتع المرحلة الثانوية منذ ظهورها بالعديد من المزايا فهي تحظى بمنزلة كبيرة في نفوس أولياء الأمور والطلاب لكونها نهاية مرحلة التعليم العام بشكل عام كما أنها تغطي مرحلة حرجة من عمر الطالب يراها البعض بمثابة ميلاد جديد كما أنها مرحلة مهمة من مراحل نمو الكائن البشري. (الحارثي، ١٤٣٦هـ: ص ١٣)

وتوافق المرحلة الثانوية مرحلة المراهقة وهي مرحلة بالغة الأهمية بالنسبة للنمو الجسمي والعقلي للطفل، وتقع تلك المرحلة بين مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد، حيث ينتقل الطفل فيها إلى فرد ناضج وتظهر معالم شخصيته وتبدأ في محاولاته للاستقلال والاعتماد على النفس، فهي مرحلة إنتقالية بين الطفولة والرجولة، إلا أنها في المقابل تعتبر فترة بالغة الخطورة حيث يمر فيها الشاب بمجموعة من المتغيرات منها المتغيرات في جسمه وجنسه أو في إدراكه للبيئة حوله ونظرته للأشياء وللآخرين، مما تؤثر على سلوكه ويحتاج فيها الشاب مجموعة من التغيرات التي تجعله قادراً على التكييف سواء مع متغيراته الخاصة أو المتغيرات التي تنشأ من البيئة التي يتعامل معها والاكتفاء بالذات، ويحدد ذلك بالبلوغ الذي يعتبر فاصلاً بين التكليف وما قبلة، ويشكل الخطر الأكبر في هذه المرحلة عدم قدرة الوالدين أو المحيطين بالشاب من مواكبة ذلك التطور الذي يشهده حيث يحتاج إلى تعامل تربوي خاص يتناسب مع حساسية المرحلة، وقد يؤدي عدم تكيفه معها أو عدم مواكبتها لنموه الاجتماعي، والعقلي إلى مشكلات خطيرة ومن هنا يمكن القول أن مرحلة المراهقة تعتبر هي المرحلة التي يتم فيها تكوين الشخصية وبناء الإنسان، ومن هنا تأتي أهميتها في بناء المجتمعات ومن ثم الأمم والدول فشباب اليوم هم قادة الغد ورجاله ويتوقف عليهم القدرة على البناء العمراني والحضاري ويرتبط بهم مصير الأمم (إسعيد، ٢٠٠٣، ص١٧)

ومن هنا يمكن القول أن أهم خاصية من خصصائص مرحلة المراهقة أنها تعتبر المرحلة التي يت من خلالها تشكيل الأفراد فهي مهمة في تجديد وجهته المستقبلية ووجهته

فإما أن يسير في طريق الصلاح والنفع لنفسه ومجتمعه أو يتوجه إلى الاتجاه غير السوي ويصبح غير مفيد سواء لنفسه أو مجتمعه وتتواكب تلك المرحلة من المرحلة الثانوية التي يكون فيها الشاب أيضاً في مفترق طرق وتكون خياراته مهمة في تحديد طبيعة تخصصه ونوع دراسته فهي ترتبط بشكل كبير بمستقبله العلمي والوظيفي فيما بعد ويتحمل وحده فيما بعد تبعات خياراته التي قد لا يكون قادراً بمفرده على اتخاذها بشكل مناسب دون توجيه أو إرشاد وهو ما ينعكس على تكوينه النفسي وسلوكه الاجتماعي فيما بعد. (مرتجي، ٢٠٠٤، ص ٣٧)

وتتنوع خصائص مرحلة المراهقة تبعاً لما يمر به الفرد كما يلي:

أولاً: من الناحية الجسيمة يتعرض الشاب لمجموعة من التغيرات الفسيولوجية حيث يشعر الشباب بتغيرات الانتقال من الطفولة إلى النضج كتغيرات في خشونة الصوت أو ظهور الشارب وطول القامة بالنسبة للذكور وتغيرات في شكل الجسم بالنسبة للإناث ونشاط بعض الهرمونات وحدوث الدورة الشهرية وهذه التغيرات ينتج عنها أولاً شعور الشاب ببداية النضوج والبلوغ وبداية الدافع الجنسي وهي أمور يجب أن تعالج اجتماعياً حتى يستوعب الشاب ذلك التطور، وثانياً يحدث لدى الشاب فجوة بين الشكل الظاهري مع أفكاره ونضجه العقلي وهو ما يحتاج حدوث نوع من التوافق والتناسب بينهما. (إسعيد، ٢٠٠٣، ص ٢٤)

ثانياً: من الناحية العقلية من المعروف أن الإنسان يبدأ خط الذكاء عنده بالنمو بشكل كبير في مراحل الطفولة خصوصاً الأعوام الستة الأولى ويصل إلى القمة في السنوات التي تواجب مرحلة المراهقة " بين الثانية عشر والعشرين" عندها يتوقف وتواكب تلك المرحلة زيادة القدرة التخليلية عند الشاب، وتزداد قدرته في تلك المرحلة على الابتكار والإبداع والثراء الفكري وحب الاستطلاع وتتطور الميول وتزادا الرغبات، ومن هنا تبدأ تظهر الاتجاهات الاجتماعية (إسعيد، ٢٨-٢٩)

ويمكن الإشارة إلى أهم خصائص النمو العقلي بالقدرة على إدراك عمليات التفكير المجردة، والقدرة على النقد وتقديم وجهات نظر مختلفة حول الأشياء، والقدرة على الابتكار والإبداع والاكتشاف (تنيرة، ٢٠١٠، ص ١٤: ١٦)

ثالثاً من ناحية النمو الانفعالي : تتعدد لدى الفرد المثيرات الإنفعالية حيث تشهد مرحلة المراهقة نوع من الحدة والإندفاع وتحدث لدى الشاب تحولات قوية في مشاعره ومواقفه لدى المتغيرات التي يمر بها. (تنيرة، ٢٠١٠، ص ١٤: ١٦)

رابعاً : من الناحية الاجتماعية: ينطبع لدى الشاب مجموعة من الخصائص الاجتماعية حيث يشعر برغبة كبيرة في التواصل والاختلاط بمن حوله ويصبح اكثر إيجابية في التعاطي مع أقرانه ويشعر كذلك بنهم نحو المشاركة والتعاون ومن هنا يتجه في كثير من الأحيان إلى المؤسسات التي تستوعب ذلك الشعور كالجمعيات الخيرية والدينية والنوادي والرياضية والصالونات الأدبية، ويكون أرض خصبة لحضور الكثير من الفعاليات كالندوات والمؤتمرات ويبدأ تفكيره في النظر إلى نجوم المجتمع أو الأبطال التاريخيين ويضع لنفسه مثلاً أعلى منهم. (الغامدي، ٢٠٠٩، ص ١٥٢-١٥٣)omar&ali

المطلب الرابع: دور التربية الإسلامية في العمل التطوعي.

أولاً: منظور التربية الإسلامية للعمل التطوعي

يعتبر التكافل والتكامل بين فئات المجتمع المختلفة سمة أساسية للمجتمعات المتقدمة، فكلما تقدمت الدول أصبحت الأعمال الاجتماعية المختلفة مؤسسية أي يكون هناك تنظيم خاص يحكمه قانون من خلال الدولة نفسها، بحيث تقوم تلك المؤسسات والمنظمات بسد الفجوة التي قد تنشأ بين القطاعين الخاص والعام.

ويمثل الإسلام البوصلة التي تضبط حركة املجتمعات الإسلامية في كافة مناحي الحياة وبالتالي يستمد منه المسلمون تصرفاتهم وتحركاتهم وتعتبر إغاثة الملهوف وإعانة

المحتاج ووقوف المجموع بجانب الفرد في أزماته لهي من صميم الاعمال التطوعية التي يلتزم بها الإسلام ويحث عليها أفراده فالتطوع يعتبر إلتزام بعقدية الإسلام وشريعته ولقد حرص الإسلام على ترسيخ ثقافة التطوع وذلك من خلال التركيز على التعاون، والتكافل، والبر، والرحمة، والإيثار، والإحسان، وإصلاح ذات البين، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وغير ذلك من المفاهيم.(حريري، ٢٠٠٦، ص١١٢)

ويتميز الإسلام عن غيره من الشرائع والديانات أنه رفعع درجة العمل التطوعي إلى درجة العبادة وحث عليه بشكل كبير ووعد العاملين عليه بالثواب الكبير في الدنيا والآخرة والعمل التطوعي في الإسلام ليس خاص بفئة معينة أو جنس معين إنما هو لكل الفئات الرجال والنساء الأطفال والكبار وكذلك سواء في العبادات أو الأعمال (حريري، ٢٠٠٦) ويقول الله سبحانه وتعالى " مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (سورة البقرة، الآية ٢٦١)

ولقد وضع الإسلام التطوع كشعبة من شعب الإيمان، وجعله يبدأ من أقل الأعمال التي لا تكلف مجهوداً ولا مالاً كإماطة الأذى عن الطريق، فيقول النبي – ص: " الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق " (النيسابوري، حديث رقم ٥٨، ج١، ١٤١٦هـ، ص٦٦) كما يقول النبي أيضاً "صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات المهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" (الإلباني، الحديث رقم ٣٧٩٥، ج٢، ١٤٠٨، ص ٧٠٧) ويقول أيضاً"

ويشترط في العمل التطوعي في الإسلام مجموعة من الشروط تبدأ بالنية، فلا يكون الدافع الحقيقي للفرد من خلال تأدية الخدمة للأخرين الرياء أو النفاق أو التكبر على الآخرين بل يكون الدافع الحقيقي نابعاً من حبه لعمل الخير إرضاء لله، وأن يكون ذلك

العمل في إطار القانون أي أنه لا يخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية، وملتزماً بأخلاقيات الخدمة العامة التي تسعى إلى تحقيق النفع وأن يتحلى من يقوم بتلك الخدمة بالأخلاق الحميدة والإخلاص وأن يكون لديه قدر كبير من الإتقان والأمانة والصدق والعدل، والتواضع، ويأتي هنا دور التربية في ترسيخ معنى تلك الأخلاق الحميدة، وتطويعها لخدمة العملية التعليمية وتدريب الطلاب على القيام بها.(الغامدي، ٢٠٠٩، ص ٥١-٥٢)

والإتقان في العمل بشكل عام من الأمور الأساسية في الإسلام حيث يحث الإسلام على الأخذ بالأسباب حيث يتم تهيئة الشخص للعمل التطوعي معرفياً ومهاريا، وقبل ذلك يجب أن يكون لدى الفرد الدافع للقيام بالعمل التطوعي وإمانه بأهميته، ويتم ذلك من خلال التربية، ثم يأتي بعد ذلك إعطائه المعارف المطلوبة ومن ثم تدريبه لإكسابه المهارات التي يحتاجها ومن هنا يكون قيام الشاب بالعمل التطوعي مبني على أسس سليمة. (الغامدي، ٢٠٠٩، ص ٥١)

ثانياً: الدور المأمول من العمل التطوعي في تنمية طلاب المرحلة الثانوية.

إن فتح المجال طلاب المرحلة الثانوية لممارسة العمل التطوعي يؤدي إلى صقل شخصية هؤلاء الطلاب سواء من النواحي الجسيمة والعقلية والوجدانية أو الانفعالية والاجتماعية، ويتضمن العمل التطوعي مجموعة من المهارات التي تساعد هؤلاء الطلاب فمن الناحية العلمية يؤدي العمل التطوعي إلى فتح مدارك هؤلاء الطلاب ويجعلهم أكثر ثقافة، ومن الناحية العملية فالعمل التطوعي يفتح الباب أمامهم لممارسة أعمال مفيدة وتشغل وقتت فراغهم في خدمة الآخرين، ومن ناحية ثالثة ينمي العمل التطوعي الحس الإسلامي لدى الطلاب ويعطيهم مجموعة من المباديء الإسلامية تساعدهم على اتباع الخلق الرفيع وبالتالي يتحقق الجزء الاكبر من أهداف العملية التعليمية في المرحلة الثانوية كما أن ذلك يتم بشكل مباشر تحت إشراف المدرسة وهو ما يخدم المنهج المدرسي (الغامدي، ٢٠٠٩، ص ١٥٣)

ويعتبر إكتساب القيم والاتجاهات الاجتماعية والأخلاق الحميدة أهم الأهداف التي تسعى المؤسسات التعليمية لتحقيقها من خلال التربية خصوصاً في المرحلة الثانوية التي تمثل مرحلة مفصلية وأساسية في حياة الإنسان، فللقيم أثار قوية وفعالة في تشكيل شخصية الإنسان ونظرته لذاته والبيئة التي يعيش فيها حيث يكون بناء الوازع الديني والعقدي ضروري جداً مما يساهم بفاعلية في تكوين الرغبة الذالتية للقيام بالعمل التطوعي فالقيم والاتجاهات والاخلاق هي التي تحدد معالم شخصية الفرد وقدرته على الضبط الذاتي وقيام المدرسة بدور في نشر ثقافة العمل التطوعي وترسحيخها لدى الطلاب يؤدي إلى تدريبهم على نشر القيم واستيعابها كقيم الإيثار وحب الخرين والاهتمام بالمحافظة على البيئة والمال العام ..الخ.(الرباح، ٢٠٠٦، ص ١٠٣-١٠٤)

كما ترتيط الخدمات التطوعية في المجالات الثقافية والتربوية والاجتماعية بالمهام الوظائف التي تنفذها هذه المجالات وذلك أن معظم هذه المهام تنفذ عن طريق العمل التطوعي فعن طريق العمل التطوعي يتعلم الأفراد طريق العيش والحياة والسلوك الذي ترتضيه الجامعة بالإضافة إلى أنها توفر كثيراً من ألوان النشاط الاجتماعي ذات الفائدة على الحياة الاجتماعية من الناحية التربوية والاجتماعية، وتكم أهمية الخدمة التطوعية في مساعدة الشباب على التنشئة الاجتماعية السليمة . (الشهري، ص ٦٦-٦٧)

وكذلك فإن الدور المامول للعمل التطوعي أنه يؤدي إلى تعلم الشباب كيف يحلون مشاكلهم محلياً إذا مارسوا عملية الإصلاح المجتمعي من خلال الاجتماع والمناقشة واتخاذ القرارات وجمع الأموال والمشاركة في التنفيذ والتقييم، ومع مرور الوقت يجعل ذلك من أفراد المجتمع أفراداً قادرين على الإصلاح والاهتمام بشئون المجتمع وأوضاعه، كما أن مشاركة الشباب في عمليات الإصلاح تؤدي إلى مساندتهم لتلك العمليات والاهتمام بها ومؤازرتها، مما يجعلها أكثر ثباتاً وأعم فائدة فالشباب أنفسهم يكونون في العادة أكثر إدراكاً من غيرهم لما يصلح لمجتمعهم وما لا يصلح، فاشتراكهم في عمليات الإصلاح، ورضاهم عما يجري يكون بمثابة " المؤشر الحساس "الذي يوجه القائمين بالإصلاح إلى المشروعات المناسبة

أو تأجيلها أو زيادة الشرح إذا ما لمسوا من الأهالي ترددا أو نفوراً. (حمدان، ٢٠١٣، ص٢٨٦-٢٨٧)

ويعتبر العمل التطوعي أساسي لتنمية المهارات الاجتماعية لدى الشباب بداية من خلق قيم البحث وزيادة المعرفة وفتح المدارك والاعتماد على النفس والرغبة في تحقيق الذات والدفاع عن القيم والرضا عن النفس والرغبة في التعلم وإكساب المعارف والحاجة للاتصال بالآخرين وإحترام الذات وهو ما يؤدي إلى المساهمة في نهوض المجتمعات وخلق مواطنين صالحين ننتقل بعد ذلك إلى قيم الإبداع والتميز ويتم استغلال طاقات الشباب بشكل مفيد وطبقاً للموارد المتاحة. (الرباح، ٢٠٠٦، ص ١٠٠)

وتعتبر المدرسة مؤسسة تربوية اجتماعية يناط بها القيام بدور بالغ الأهمية في تكوين وتنشئة الأفراد حيث تمتد المراحل الدراسية خلال مراحل نمو الفرد منذ كان طفلاً حتى الوصول إلى مرحلة النضج، وتمثل المدرسة مؤسسة اجتماعية مهمة لأنها تمثل اكبر تجمع للطلاب بمختلف مستوياتهم العلمية والمعيشية وهو ما يفتح المجال للفرد لتشكيل شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية، ومن هنا كان هناك مسئولية كبيرة على القائمين على العملية التعليمية وذلك بوضع فلسفة تربوية تعمل على ترسيخ القيم النبيلة المستمدة من قيم الإسلامية الشريعة الإسلامية التي تحض على الإيثار والتعاون والتطوع والأخوة، والتسامح، والتكافل، وترجمتها في المناهج الدراسية وإبراز أهمية ودور العمل التطوعي وحث الطلاب على ذلك من خلال برامج ميدانية يقوم بها الطلاب تتمثل بأنشطة كزراعة الأشجار أو تنظيف المدرسة أو الشارع أو القيام بجولات ميدانية لزيادرة المرضى في المستشفيات أو دور الأيام .. الخ، وضرورة أن يكون هناك حوافز تشجيعية تقدم للطلاب المتميزين في الأعمال التطوُّعية.

الخاتمة

قامت الدراسة بتناول قضية العمل التطوعي وكيفية ترسيخة وتفعيله كمهارة اجتماعية من منظور التربية الإسلامية لدى طلاب المرحلة الثانوية ووجدت الدراسة أن هناك دور كبير للتربية الإسلامية في تنمية مهارات الطلاب من خلال العمل التطوعي ويمكن تحديد أهم ذلك الدور من خلال الإشارة إلى أثار التربية الإسلامية على العمل التطوعي فيما يلي:

- التنشئة الإسلامية الصحيحة من خلال العمل على على دعم العقيدة الإسلامية، والانطلاق من المفاهيم الوسطية التي تتمشى من الشريعة الإسلامية السمحاء.
- ترسيخ مفهوم الإنتماء لدى الطالب سواء أكان ذلك الانتماء للامة الإسلامية بشكل عام أو تحقيق الوفاء للوطن.
- العمل على التشبع بالمفاهيم الأساسية للثقافة الإسلامية كالبر والتعاون والبذل والتضحية والإيثار وفعل الخير ومساعدة الآخرين
- تكوين الاتجاهات الصحيحة والخبرات اللازمة والمهارات المناسبة لحياة الطلاب ومعالجة المشكلات الفكرية والإنفعالية.
- بناء الشخصية القادرة على مواجهة المستقبل مع التأكيد على الهوبية الثقافية الوطنية والإسلامية وفهم وإداراك الوظيفة الحضارية للأمة.
- بناء شخصية قادرة على مواجهة المستقبل قادرة على الابتكار والتجديد من خلال التزود بالمهارات الفكرية ووالعقلية اللازمة للتعلم الذاتي.
- اشراك الطالب في القضايا العامة من خلال تعريفه بحاجات المجتمع وإعداده للمساهمة الفعالة في النهوض بالمجتمع وتطوره.
- تنمية المهارات الخاصة والميول والقدرات واكسابه حاسة التذوق الفني وتغذية الروح من خلال تنمية مهارات القراءة والتأمل.

المراجع

- الرباح، عبداللطيف بن عبلدالعزيز، التربية على العمل التطوعي وعلاقته بالحاجات الإنسانية: دراسة تأصيلية، جامعة حلوان، كلية التربية، المجلد ١٢، العدد ٣، يوليو ٢٠٠٦.

- مظاهري، محمد عامد عبدالحميد (١٤٢٧) واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية والدور الإعلامي المأمول لتنميته دراسة وصفية نقدية، مجلة جامعة طبية، العلوم التربوية، السنة الثانية، العدد ٤.

- الغامدي، عبدالعزيز بن مسفر(٢٠٠٩)العمل الاجتماعي التطوعي من منظور التربية الإسلامية وتطبيقاته في المدرسة الثانوية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية

- زينو، رنده محمد (٢٠٠٧)، العمل التطوعي في السنة النبوية دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين.

- الراشدية، زيانة بنت ناصر بن سالم (٢٠١٦)، الصورة الذهنية المدركة للعمل التطوعي وعلاقاتها بالدافعية للتطوع، لدى عينة من طلبة جامعة نزوي بسلطنة عمان في ضوء بعض المتغيرات، رسالة ماجستير، جامعة نزوي، كلية العلوم والآداب

- صالح، سميرة طه(٢٠٠٦) الشفافية في إدارة منظمات العمل التطوعي في السودان ٢٠٠٠: ٢٠٠٥ دراسة لبعض المنظمات التطوعية، جامعة الخرطوم، معهد البحوث والدراسات الانمائية

- تنيره، كمال حسن مصطفى، أنماط السلوك السلبي الشائعة لدى طلبة المرحلة الثانوية وعلاجها في ضوء معايير التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، ٢٠١٠

– مرتجي، عاهد محمود محمد ، مدى ممارسة طلبة المرحلة الثانوية للقيم الاخلاقية من وجهة نظر معلميهم في حافظة غزة، رسالة ماجستير، جامعة الازمر– غزة، كلية التربية، ٢٠٠٤

– إسعيد، دانيال سليم خالد ، مشكلات طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة غزة وسبل علاجها في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية التربية، ٢٠٠٣

– الحارثي، ماجد دخيل الله عيضة الحسيكي، المشكلات التربوية التي تواجه طلاب المرحلة الثانوية في محافظة ميسان من وجهة نظر المعلمين ودور التربية الإسلامية في معالجتها، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، كلية التربية، ١٤٣٦هـ

– حريري، عبدالله بن محمد بن أحمد، العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية، عمان: مجلة مؤته للبحوث والدراسات، مجلد ٢١، العدد ٥، ٢٠٠٦

– النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، دار بن حزم، ١٤١٦هـ.

– الإلباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ.

– حمدان، سعيد ناصر حمدان، دور العوامل الاجتماعية والثقافية في المشاركة التطوعية للشباب السعودي– رؤية اجتماعية ودراسة تحليلية، مجلة كلية التربية بالزقازيق، مصر، العدد ٧٩، إبريل ٢٠١٣

– عمار، نوري (٢٠١٠) دور القيادة في إدارة العمل التطوعي الجمعوي– دراسة حالة لجمعيات بولاية برج بوعريريج، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسطنطينة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية.